

أعلام الشعر العربي في باكستان

*الدكتور حامد أشرف همداني

Since the introduction of Islam in the subcontinent, the Arabic language also became the focus of the indigenous. They learned it primarily for religious purposes but did not confine themselves to the religious literature only. The rich literature of the Arab fascinated them. They could not resist appreciating it and began contributing in it by composing verse and prose. After the partition in 1947, this practice continued and in Pakistan a number of emerging poets selected Arabic as their means of expression and were admired even by its native speakers. Arabic language and the tradition of composing verse in Pakistan is the focus of this article. The article has also been incorporated with the examples of Pakistan Arabic poets' compositions.

إن عناية باكستان باللغة العربية نابع عن اقتناع راسخ، وعقيدة صافية لأنها لغة القرآن الكريم ولغة دينهم وثقافتهم وآدابهم ووحدهم وعقيدتهم. إذا فليس هناك غرابة في انتشارها، ولا عقبه في دراستها، ولا صعوبة في تطبيقها لأنهم ألفوها من قديم وورثوها عن الأجداد والآباء وطرقوا أبوابها بالتأليف والتصنيف وقرض الشعر بها. وفي باكستان الإسلامية قد شاهدت العلوم العربية والإسلامية تطوراً هائلاً وتغيراً ملحشاً، فقد كانت تُدرّس وتعلّم في المدارس العربية الدينية الخاصة من قبل إنشاء باكستان وفيها نشأ العلماء الأفاضل والأساتذة الأمثال فقد ملأوا الدنيا درساً وتدرّساً وتصنيفاً وتأليفاً، ولما نشأت دولة باكستان الإسلامية وقامت واستقلت، شرعت تتوسّع مجالات نشأة هذه العلوم فشملت المعاهد العلمية الحكومية من المدارس والكليات والجامعات، ولا تزال تتوسّع، وظهر فيها عددٌ كبير من الأدباء والشعراء خاصة، قد جعلوا همّهم احتشاث قرائنهم وإثارة ملكاتهم لقرض الشعر العربي وإنشاده.

والذي يتّبع آثار الشعر العربي في باكستان، وخاصة الشعر العربي الذي نشأ في هذه البلاد بعد استقلالها، تعمّره الحيرة ويدهشه الإعجاب حيث يجد هذه الكثرة الكاثرة من الشعراء الذين تناولوا اللغة العربية لإبداء مشاعرهم وجعلوها مجالاً للتعبير عن أحاسيسهم وعواطفهم، والحقيقة التي لا تنكر أن نظم الشعر في أية لغة أصعب وأشدّ من الإنشاء في الشر، ولا يستطيع كل واحد حتى من أهل اللغة أن يقرض شعراً لأن هذه الملكة موهبة من الله العزيز العليم ثم إنه يتقاضى ثقافة موسّعة ومهارة لغوية تامة، مع سيطرة بالغة على اللغة ومعرفة كاملة لموارد اللغة ومصادرها، وأبنتها وأساليبها وغيرها الأشياء الكثيرة. فإذا قول الشعر باللغة العربية دليلٌ على تمكّن هؤلاء الشعراء على هذه اللغة الكريمة.

* الأستاذ المشارك بالقسم العربي، الكلية الشرقية، جامعة بنجاب، لاهور

ويمكن لنا أن نقسم شعراء باكستان بالعربية إلى مدرستين أساسيتين: المدرسة التقليدية والمدرسة التجديدية، ونقصد بشعراء المدرسة التقليدية شعراء العربية في المدارس الدينية ويراد بشعراء المدرسة التجديدية شعراء العربية في المعاهد العلمية الحكومية باعتبار الصفة الغالبة.

إن الأغلبية الغالبة من شعراء باكستان الذين استقوا من مناهل المدارس الدينية تأثروا كثيراً بمنهجها الدراسية فهم بطول درسههم للأدب العربي وتدرسه شغفوا بقرض الشعر ولكن شعرهم في الغالب شعر تصنع وتكلف. وليس بالشعر المطبوع الذي ينبع من القلب ويفيض رقة وذنوبة، ولا الشعر الحماسي الذي يمتاز برصانة التراكيب، وفخامة الألفاظ، وجزالة الأسلوب. ونجد بعض المستثبات في شعر القلة من الأدباء الذين يمكن أن نعتبرهم من الشعراء المطبوعين. ولعل السبب في ذلك حذو شعراء باكستان نماذج الشعر الجاهلي (المعلقات السبع، وديوان الحماسة) وشعر المتنبي، دون النظر في الشعر العذري الرقيق العذب كشعر عمر بن أبي ربيعة، وجميل بثينة ومن الشعراء العباسيين النوايع، بشار بن برد وأبي نواس ومسلم بن الوليد وأبي العتاهية وابن الرومي وأبي فراس الحمداني وغيرهم من العشرات الفحول من الشعراء الذين نقف على شعرهم الكثير في الموسوعات الأدبية القديمة مثل كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني والعقد الفريد لابن عبد ربه وبيتمة الدهر للثعالبي وغيرها.

وكما أنه من المعلوم المعترف به أن ابتعاد اللغة وآدابها عن عقر دارها وموطنها الأصلي يجعلها عن مستوياتها الأدبية وأساليبها اللغوية، كما أن الإنتاج بها في النظم ينقلص ويتخلف ويضعف ويتضاءل كلما ازداد البعد من الموطن الأصلي وانقطعت الصلة بأهل اللغة. وكذلك فإن إتقان لغة من اللغات ورفع مستوياتها العلمية وأساليبها الأدبية يحتاج إلى الاحتكاك بأهل اللغة والاطلاع على أساليبهم في التعبير كتابة وحدثاً والاستسقاء من مواردهم الثقافية الأصلية، كما أنه في حاجة إلى حفظ الكثير من آدابهم شعراً ونثراً، وقضية اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية الباكستانية لا تختلف دون شك وأي استثناء فقد كان من الشعراء العرب الذين هاجروا إلى بلاد شبه القارة، وهم قليلون جداً، فقاموا بدورهم في إنتاج الشعر والتأثير فيما أنتجه تلاميذهم من أهل البلد كما أن من الشعراء والكتاب الذين احتكوا بأهل اللغة من العرب الكرام سواء كان ذلك باللقاء أو الاختلاط مع القادمين الطارئین وزواراً أو بالرحلة إلى البلاد والعواصم الثقافية العربية والمراكز الأدبية مسافرين وطلاباً.

إن الدراسة لما أنتجه الشعراء باللغة العربية في شبه القارة الهندية الباكستانية توضح الفرق جلياً بين ما قاله المستفيدون من أحواض العروبة استفادة مباشرة وبين ما أنتجه من ذهب مذهب المقلدين المتكلمين الذين لم يتمكنوا من التلمذ على أهل اللغة أو الاستفادة من عواصمهم الثقافية مباشرة (١).

فنرى أصحاب الشعر العربي الذين تربوا في أحضان المدارس الدينية قد ظلوا في الغالب يكتفون بما وصل إليهم من الشعر العربي في الجاهلية والإسلام أو ما قرأوه في المقررات الدراسية بطريقة قديمة عقيمة كالمعلقات وديوان الحماسة وشعر حسان بن ثابت، ثم أخذوا يرددون ويلوكون ما قرأوه، والواقع أن هذا النوع من الشعر لكثير جداً، وأن الكثرة الكاثرة من الشعراء في شبه القارة الهندية الباكستانية ينتمون لهذه المدرسة في تاريخ الشعر العربي

خلال القرون الطويلة وذلك لأسباب:

فمنها أن العربية وعلومها وآدابها في هذه المنطقة كانت منوطة برجال الدين أو من نحا نحوهم من المتأدبين ومن ثم لم يقدر للشعر العربي أن ينال حظاً من العبقريّة والإبداع إلا نادراً، ومنها أنهم لم يوفقوا في تحقيق التبادل الثقافي والاحتكاك بأهل اللغة، ومنها أنهم لم يتمكنوا من الحصول على الدواوين والمجاميع الشعرية لكبار الشعراء العرب لكل عصر من العصور وكل مكان من البلاد العربية المختلفة، ومن ثم لم يكن من الممكن للكثيرين منهم أن يطلعوا على الشعر العربي على اختلاف الأنواع والأزمنة والأماكن، وبالتالي لم يستطيعوا أن يأتوا بالإنتاج الشعري يمثل عصرهم ويقتهم وإنما ظلّموهم يردّون على ألسنتهم ما تيسر لهم من المعاني والمفردات اللغوية.

ويغلب على شعرهم الأسلوب العلمي لا الأدبي، ويسود على شعرهم التأثر بالقرآن والحديث النبوي وشعر القدامى فتكثر عندهم الاقتباسات والتضمينات منها كما نرى الكثرة الكثيرة من هؤلاء الشعراء يحاكون ويعارضون شعر القدامى وكان جميع هؤلاء الشعراء علماء الدين ورجال العلم والثقافة ولكل هذه السمات انعكاسات في شعرهم وإن كان ضعيفاً من الناحية اللغوية ولم يكن سبكه يضارع الشعر العربي الموروث بسبب ثقله بكلمات ذات صبغة علمية وبديعية ولكنه من حيث الأفكار والمعاني شعر قوي ذو أثر بالغ في المثقفين وإنه يخاطبهم دون الشعب. وإذا كان الأمر على ما ذكرنا فلا ينبغي أن يحكم عليه بالتقليد الجامد.

وخلاصة القول أن إنتاج الشعراء لهذه المدرسة ليس بمجرد تقليد وترديد أو هجس سخيف، بل يوجد فيهم عدد غير قليل من الشعراء قد قرضوا الشعر أو نسجوه على منوال الشعر الجاهلي أو الإسلامي يكاد يضاهاه شعر الكبار من الشعراء في عصور الجاهلية والإسلام، وفيهم من أنتج شعراً غزيراً حتى نصب له ديوان شعر يستحق الدراسة والاهتمام فمن هؤلاء الشعراء الشيخ محمد يوسف البنوري الذي تتقف عليه أجيال من علماء العربية في باكستان. وفيما يلي بعض أبياته من قصيدته في نعت النبي الكريم سيدنا الهاشمي محمد ﷺ تحتوي على قدر كبير من شمائله الكريمة.

[الكامل]

طاف الخيال من الحبيب فزارا	فاهتنز قلب المستهام وطارا
سرت لمسرة في لعروق جميعها	كدم الحيلة سرى هناك ودارا
طيف بدا يجلو الهموم رواجه	روح الحيلة وسره إذ سارا
قرّ العيون بشيمة من برقه	فله جمال يعجب الأبصارا
لله من طيف يسرّ قلوبه	قلب العميد دجى فزيروزارا
لا غرو طيف في الزمان مبارك	طيف النبي الأبطحي ديارا
يامدناً في حبه وجماله	متحيراً لجمالته إكبّارا
ألقي عليك شمائلًا من حسنه	في عقد درّ يعجب الأنظارا
هو أدعج كحل العيون وأبلج	أفنى أزعج وأهدب أشفارا

هو لم يكن بمطهم ومكثم
 طلق الجين إذا تبسم ضاحكاً
 فحينه كالبدر يشرف دلجة
 ويقول يتغزل بعنوان "عبرة ذكرى" [الطويل]

خليلي عوجاً ساعة فتبصراً
 منازل سلمى هذه إذ رأيتها
 متى ما أتاني من هواها خيالها
 يكاد الهوى يذكي فؤاداً بطيفه
 يعيرني الواشي بأن بي الهوى
 فدع عنك عنال الجوى في حبيبه
 يصد الخليون الشجي من الهوى
 تذكرت عهداً من سويغات قربها
 وفي القلب نار والدموع أريقها
 فدمع سخين ثم نار تلهبت
 فراق حبيب ثم يأس ومطمع
 فهذي دواه قد ألمت بهالك
 إلى الله أشكو من غرام وكربة
 ألا يا أسلة الحب صبوا دموعكم
 قفوا نيك أطلال الحبيب وعهده
 وياليت أطلال الديار تنضرت
 تبسم فيها ودهما وعرارها
 هنالك تبدو للعيون مقرة

حسن المحيافي الأسالة دارا
 فاقت أسارير الجمال نضارا
 قد فاق بدراً وجهه إذ ناراً (٢)

موائيل أطلال لسلمى فتهمرا
 حوى القلب وجد كامن فتسعرا
 ترى عقد در من جفوني تحلدا
 ومن شيمة الملهوف أن يتسعرا
 كفى ذاك من عار له ليته درى
 وهل يرحل الحب المقيم إذا ورى
 وياليت لو كانت قلوب فتسيرا
 ومن عادة المحزون أن يتذكرا
 لتطف ولكن ظلّ نفضاً مسعرا
 غريق حريق كان كل مقدر
 بوارق حب حيرتني بما عرى
 فهل من شجي القلب في سائر الورى
 تذيب فؤاد المرء إذ حل أو سرى
 فهنا دواه للغمرام إذا تبرى
 فتسكين وجد بالدموع إذا ورى
 فعادت رياضاً بعد ما كان أفبرا
 ويحوي فناها كل زهر وعبرها
 وشعب لقلب في الغرام تفطر (٣)

ومن فطاحل هذه المدرسة الشعرية عبد المنان الدهلوي، ويعتبر من كبار العلماء الأفاضل للغة العربية وآدابها في باكستان، وكان آية في الحفظ والذكاء، وله ديوان شعر عربي إلا أنه لم يطبع بعد. وتداول الناس شعره بالإضافة إلى المؤلفات العربية القيمة الكثيرة وله شعر جيد بالفارسية والأردية، أما شعره العربي فإنه يمتاز بنضارة اللفظ وطراوته مع عمق المعنى وجوده الفكري، وأسلوبه الأدبي يحمل طابع الشعر الجاهلي والإسلامي مع روعة الجمال ورونقه. فلننظر إلى قصيدته حيث يمدح النبي ﷺ [البيسط]

محمد صاحب الأيات معجزة
 عفواً وسمح وَاغضَاءَ وَّمرحمةً
 مأوى الضّعاف ملأذ الخلق قاطبةً
 برّره وف بمن خفت أواصره
 ولا يميل إلى مال ولا سبب
 حتم النبوة لا شك ولا ريب
 يعلم الناس أخلاقاً مطهرة
 يدعو إلى طاعة فرض ونافلة
 فظل مرتدياً ينهى ويأمرهم
 كصخرة عزمه صماء راسخة
 وقال قائلهم والنار مسعرة
 في بلدة جعل الرحمن بلدته
 وكان مولده فيها وهجرته
 يشدّ راحلةً تطوي مراحلها
 مأمورة لا ترى سهلاً ولا جبلاً
 وكان منتظراً إذ جاءه خبر
 رفيقه رجل في الغار صاحبه
 ومن شعراء هذا التيار الشيخ ظفر أحمد العثماني فقد كان الشيخ عالماً متبحراً وفتياً ماهراً عارفاً بالكتاب
 والسنة، زوّد المكتبة العربية بتراث ضخم من الكتب النافعة أكبرها كتابه المشهور "إعلاء السنن". إلا أنه جمع بين
 العلم والشعر، أنشأ عدة قصائد في المدح والثناء خصوصاً في رثاء زوجته وأصدقائه. وهذه القصائد تلقي الضوء
 على شعره الجميل الذي يخلو من التكلف والتعقيد. وفيما يلي نموذج من هذا الشعر الرائع.

قال يندب إلى الأخلاق الكريمة والالتزام بالشرعية [الطويل]

ألفاستقم لله والرجز فاهجر
 وأحسن ولا تمنن وربك كبير
 تخلق بأخلاق حسان حميدة
 وجاهد عليها النفس والثوب طهر
 وصل على الأوقات لا تغفلنهما
 وحافظ على الوسطى بجد وأوتر
 وأد زكوة المال لا تمنعنها
 فتربولك الأموال بعد التطهر

وصم دائماً لله رمضان حسبة يكن جنة من ذات لهب مسعر
 وقم في لياليها بعشرين ركعةً فيشفع لك القرآن يوم التحسر
 وحج لبيت الله لو تستطيعه وزر بعده قبر النبي المطهر
 وكن واصلاً للرحم لا تقطعنها وأحسن إلى من جاء بالسوء واغفر (٥)

ومن أبرز شعراء المدرسة التقليدية القاضي عبدالسلام سليم الهزاروي؛ وأكبر قصائده قصيدة نونية في مدح الرسول عليه الصلوة والسلام اسمها "الجدبة الشوقية في الحضرة النبوية" أنشدها أمام القبة الخضراء، وهي قصيدة بديعة، تزيد على مائة وخمسة عشر بيتاً، بدأها بالتشبيب جرياً على عادة شعراء العرب القدامى. وهو يطيل في التشبيب ويحكي عن شوقه وحبه للرسول ﷺ ويسأل الله تعالى أن يهبه هذا الحب الذي تحيا به القلوب، وتتغذى به الأرواح.

وسوف نقتطف نماذج من هذه القصيدة حتى يقف القارئ على شعره الجميل. بدأ القصيدة بقوله.

[الكامل]

موج الصبابة دائماً غشاني وأماتني بعد الردى أحياني
 أصبحت قد ترك الفؤاد ممزقا وردى خد فساتك فتانني
 نارى وصف سال طول زمانني قاني لون الدمع من أحفاني
 وأذاب أحشائي ضرام غرامه وأسأل قلبي اليوم من إنساني
 وأذاب أحشائي لهيب صدوده وأمات جسمي عسكر الأحران
 نار الصبابة أحرقتني لومي والعنذل فيها أحرق النيران
 هيهات صبري في الهوى من مهجتي وقريحتي محروقة الهجران

ثم يقول بعد ذلك أبيات مادحاً الرسول صلى الله عليه وسلم

أرجو رجاءً كاملاً مستحكما من خالقي من رازقي المنان
 أن يمنح العبد الغريب محبة في ذاته بالسسر والإعلان
 ومحبة المختار يجعل ديدني وغداء روعي دائماً وأماني
 ويضيء قلبي في هواه ككوكب متوقد متهلل نوراني
 وضريح عبد يجعلن منورا بسناء نور باهر اللمعان
 بضياء نور الحب حب محمد نور إلهي مرقدي وحناني

حب الرسول علاج كل بلية أبداً لكل الخائف اللفهان
 حب الرسول مزيل كل مصيبة للعاجز الدنف النحيف العاني
 حب الرسول جلاء كل طبيعة نور القلوب وواضح البرهان
 حب الرسول شفاء أسقام الورى وحياة قلب المدنف الولهان
 وهو النبي الهاشمي المصطفى مختار إنس في الزمان وجان
 خير الخلائق كنز أسرار المأل بدرالكمال وسيد الأكوان
 عزّ المراتب والمكارم والعلی وحيب رب منعم منّان
 بحر خضم ذاخر متلاطم فاضت عيون منه في البلدان
 الدهر صار بنوره متهللاً والشرك أصبح منه في خذلان
 محمود رب الناس في تنزيله كنز المعارف ساطع البرهان

وفي آخر القصيدة يختمها بالصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله

وأصحابه الكرام ويسأله أن ينظر إليه نظرة إحسان وعطف ورحمة فيقول:

وعليك لا زالت صلوة إلهننا والآل والأصحاب في الأزمان
 وعليك لا برحت صلوة صلاتنا تترى عليك وآلك الشجعان
 انظر إلى عبد السلام برحمة وإلى السليم بناظر الإحسان

هذه القصيدة من القصائد الرائقة، الغنية بالمعاني والألفاظ البديعة والتي يحاكي فيها الشاعر الشعراء القدامى حيث بدأها بالتشبيب الذي لا يخلو من العواطف والأحاسيس الجذابة، ويحكي في مطلعها حرقه الشوق ورقة الهوى والولع الشديد الذي أحيا نفسه من كثرة حبه للرسول ﷺ هذا الحب الذي مزق أحشاءه وأحرقها وأشعل النار فيها، وأمات جسمه من كثرة الأحزان، حتى جعل لون دمه شديد الحمرة، ثم يرجع ويشتكى من الهجران والفرق وأنه لا يستطيع الصبر لأن صبره قد نفذ. ويقول إني عافيت الكثير من الهموم والمصائب ليلاً ونهاراً مذ أن بليت بحب الرسول صلى الله عليه وسلم.

وأخيراً يسأل الله تعالى أن يمنحه محبة في ذات المصطفى عليه الصلوة والسلام، لأن محبته فيها غذاء للروح، وضيء للقلوب، وحياة لكل موحد، وفيها علاج للجسم من كل بلية.

ويختم الحديث بمدح الرسول، وهو يعدد محاسنه وأفضاله وإن الله تعالى قد اختاره من بني هاشم وهو خير الخلائق، بدرالكمال، سيد الأكوان، الذي أزال الشرك وعم النور بوجوده وغير ذلك (٦).

ونتهي الحديث عن هذه المدرسة التقليدية في الشعر العربي في باكستان بذكر شاعر معاصر قد توفي في

خمسينات القرن العشرين وله ديوان شعر عربي مطبوع كما أن له ديوان شعر فارسي قد تجاوز عدد أبياته الشعرية أربعة آلاف بيت ورغم أنه قد عاش في القرن العشرين ورغم أن شعره العربي شعر رصين ويحمل رونق اللفظ وروعة المعنى إلا أنه قد نسج على منوال الشعر الجاهلي والإسلامي، ولا يوجد فيه ما يدل على أنه كلام شاعر عربي معاصر قد عاش في القرن العشرين الميلادي، وهو الذي يقول:

لقد نادى بفرقتنا غراب فراع القلب بالبين النجاء
 كأن القلب مني يوم بان كريشات تطير بها الخلاء
 دعا ذكر الشباب إلى التصابي وهل عند الصباح لي المساء
 يياب هال نفسي ذو شجون وكلت ناقتي وهي السقاء
 وما في الدهر أشقى من كئيب أراد الضحك حم له البكاء (٧)

ومن أبرز شعراء العربية في المدارس الدينية بباكستان محمد يوسف الكاملفوري و نقيب أحمد الديوي ومحمد إدريس الكاندهلوي والمفتي محمد شفيع والقاضي عبدالرحمن الكاملفوري والمفتي جميل أحمد التهانوي ومحمد موسى خان الروحاني البازي ورضاء الحق المرذاني والشيخ فضل محمد السواتي والشيخ عطاء المنعم البخاري وغيرهم. وأهم موضوعات هذا الشعر يدور حول الحمد والمدح والمناقب والثناء والشكوى (٨). أما شعراء المدرسة التجديدية في باكستان فيما أن الجامعات والمعاهد العلمية الحكومية تملك إمكانيات ووسائل كثيرة لا تتوفر للمدارس الدينية الأهلية غالباً أمكن هؤلاء الشعراء الراحلين من المدارس إلى المعاهد العلمية والجامعات الحكومية التقلب في الأسفار وكثرة الاطلاع على الجديد وتحقق لهم التبادل الثقافي والاحتكاك بأهل اللغة وتمكنوا من الحصول على الدواوين والمجاميع الشعرية لكبار الشعراء العرب لكل عصر من العصور وكل مكان من البلاد العربية المختلفة، ومن ثم أمكن للكثيرين منهم أن يطلعوا على الشعر العربي على اختلاف الأنواع والأزمنة والأماكن وبالتالي استطاعوا أن يأتوا بالإنتاج الشعري يمثل عصرهم وبيئتهم، فتوسع دائرة ثقافتهم تحرروا من أغلال التقليد للشعر العربي القديم وخرجوا من إطار الموضوعات الشعرية التقليدية وطرقوا أبواباً جديدة من الشعر العربي واتخذوا أساليب جديدة في قرض الشعر.

ومن أهم شعراء هذا التيار ضياء الحق الصوفي، ومحمد أفضل فقير، والدكتور محمد جميل قلندر، والأستاذ محمد حسين اقبال ومحمد ناظم الندوي والدكتور خورشيد حسن الرضوي وعبدالعزيز خالد والدكتور الحافظ عبدالرحيم والأستاذ عبدالواحد نديم والميرزا آصف رسول، والشيخ لطافت الرحمن السواتي. وفيهم من أنتج شعراً غزيراً حتى نصب له ديوان شعر يستحق الدراسة والاهتمام فمن هؤلاء الشعراء الدكتور محمد جميل قلندر الذي تتقف عليه أجيال من أساتذة العربية في باكستان.

والأستاذ الدكتور محمد جميل قلندر من أعلام الشعر العربي في باكستان في عصرنا الحاضر. تقاعد عن

وظيفة التدريس في قسم اللغة العربية بالجامعة القومية للغات الحديثة بإسلام آباد حالياً، وما زال يقوم بتدريس اللغة العربية وآدابها في الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد. يقول عنه الدكتور كمال عبدالعزيز المصري مدير مركز الدراسات الأساسية بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد سابقاً. "هو الشاعر الواعد بالأمل، الحالم بالفردوس الأبهى، يتميز عن بقية شعراء باكستان الذين كتبوا أو يكتبون بالعربية بأنه الشاعر الوحيد - فيما أعلم - الذي يكتب القصيدة العربية الحديثة (قصيدة التفعيلة) بالإضافة إلى قدرته على كتابة القصيدة العمودية" (٩).

ويدو أن تقلبه في الأسفار وكثرة اطلاعه على الجديد وإقامته في لبنان وسوريا أثناء دراسته لدبلوم التربية ١٩٧٥م، يبدو أن كل ذلك هو الذي أعطى لشعره هذه النكهة الخاصة الذي أخرجته من أسر الثوب التقليدي العتيق الذي درج عليه شعراء العربية في باكستان. وهو شاعر مرموق في لغته الأردنية أيضاً، وله بها ديوان مشهور بعنوان "كشكول" هو محل عناية النقاد والدارسين بالأردنية. وما زال عطاؤه المتميز تراء غزيراً على الساحة الأردنية والعربية.

احتفظ الأستاذ محمد جميل قلندر طيلة حياته الفكرية بالفكرة القائلة أن البيئة جسم الإنسان الثاني وثوبه ومرآته - الفكرة التي استلهمها مما ورد في القرآن من ذكر الجنة (البيئة المثلى والمدينة الفضلى وحظيرة القدس والحب والجمال الأبهى والمعيشة الحسنى). وما أجدر هذه الفكرة أن تكون محور ديوان "حلم الفردوس الأبهى" لفيلسوف البيئة محمد جميل قلندر - كأس دهاق من معين شعري متدفق ذي متعة روحية وفكرية ولذة للشارين (١٠). وفيما يلي بعض الأبيات من قصيدة من ديوانه المطبوع "حلم الفردوس الأبهى" وهو بصدد طبع ديوانه الثاني. رؤى الهوهو [الهجج]

هُوَ أَنْتَ ، أَنَا الْهُوهُو	ولات مـاسـوى الهوهوهو
لِمَ ، كَيْفَ ، وَمَا الْهُوهُو	وأين ياترى الهوهوهو
إِذَا أَظْهَرْتَ دُنْيَانَا	فغبت أيتها الهوهوهو
هل الهوهو صدى الكون	أم الكون رحى الهوهوهو
وكم من لمحة البرق	تريـنـا من رؤى الهوهوهو
وكم من شاشة الروح	لتعكس من سنا الهوهوهو
وكم من رعشة العود	لتسمعنا غنا الهوهوهو
وكم من موجة البحر	لترقص من جوى الهوهوهو
وكم من شعلة الورد	تفوح بندى الهوهوهو (١١)

ومن فطاحل هذه المدرسة الشعرية محمد أفضل فقير، ويعتبر من كبار العلماء الأفاضل للغة العربية وآدابها في باكستان، وكان آية في الحفظ والذكاء، وله ديوان شعر عربي مطبوع. وتداول الناس شعره بالإضافة إلى المؤلفات

العربية القيمة الكثيرة وله شعر جيد بالفارسية والأردية، أما شعره العربي فإنه يمتاز بنضارة اللفظ وطراوته مع عمق المعنى وجوده الفكر، وأسلوبه الأدبي يحمل طابع الشعر الجاهلي والإسلامي مع روعة الجمال ورونقه.

يقول الأستاذ الدكتور ظهور أحمد أظهر عن أسلوب شعره "ومن الجوانب المهمة في الأسلوب الشعري عند الأستاذ محمد أفضل فقير الشاعر هو ميله إلى غريب اللغة العربية واهتمامه الخاص بها على دأب البعض من الشعراء الكبار في الجاهلية والإسلام كذى الرمة والفرزدق وغيرهما.... ومن ظواهر اللفظ والمعنى في الأسلوب عنده هو تأثره بالقرآن الكريم. قصائده حافلة بالتعبيرات والمفردات القرآنية.... ويجدر بنا أن نشير إلى ما يمتاز به شاعرنا المتصوف وذلك أنه مجال لم يضطلع له إلا القلة القليلة من شعراء العرب الكرام ومنهم الشاعر المتصوف ابن الفارض المصري رحمة الله عليه، والسبب في ذلك أن مفردات العربية وبحورها الشعرية تنقل على أوزان الرباعي أو الدوايت أو قل إن هذا الوزن قد خصت بها الفارسية والأردية... وهو صنف شعري صعب المنال وحتى عند شعراء هذه اللغات ولكن شاعرنا المتصوف قد أقبل على هذا الصنف الشعري... والجدير بالذكر بهذه المناسبة أن للدوايت أو الرباعي الفارسي أربعة وعشرون وزناً بنوعيه الأخرم والأحرم، وقد استخدم ابن الفارض رحمة الله فيها بضعة أوزان فقط. أما شاعرنا الباكستاني فقد استوعب أوزان الرباعي كلها فقال الدوايت في أربعة وعشرين وزناً فالبن الفارض فضل السبق في هذا المجال وأما الشاعر الباكستاني هنا فله فضل الأولوية في الاستيعاب والكمال" (١٢).

ونورد فيما يلي بعض أبياته من قصيدته في الحمد [البيسط]

سبحانه وتعالى ذاك معبود	إذا المواجهيد تفنى وهو موجود
ربّ السموات والأرض استعان به	أهل الرشاد فمنه النصر موعود
الخوض في كنهه يستلزم الضررا	تفكر المرء في الآلاء مسعود
إذا حقيقته في النفس ثابتة	فينفع العبد لامولاه تحميد
في ذاته أبدي لا شريك له	وفي الصفات مع الأسماء محمود
فكيف يهدى إلى إدراكه البشر	إذا لانتهاه له والفكر محدود
يغمّد الناس بالنعمة وحين عصي	عبد تجاوز عنه جوده الجود
ويمسك الطير في جو السماء إذا	لهنّ من لطفه فيها الأغاريد
تطيعه الشمس من اتباعه القمر	واليل شاهده والفجر مشهود
يحافظ الخلق من أمر يصيبهم	فمن لوازم ذات الحق تسهيد (١٣)

ونورد فيما يلي بعض الدوايت للحافظ محمد أفضل فقير

(أ)

محبوب المولى ساد الأسلاف
كالخير حوى جزاؤه أضعافا
بالنعت لمن والاه استكرام
قد كان الرحمن له وضافا

(ب)

في سيرة شارع الهدى سلطان
من لامعها تلاً لأ العرفان
لاتبلى من تداول الأيام
من يستمسك بهاله البرهان

(ج)

الدّين ومن يلزمه بالأدب
ماخاب من اهتدى به في الطلب
لم تستكمل مكارم الأخلاق
إلا بشريعة الرسول العربي (١٤)
ومن أعلام هذا التيار الشعري في باكستان الدكتور خورشيد الحسن الرضوي حيث يمتاز شعره بوصف
دقيق وتشبيه بليغ وأسلوب رائع خلاب فيها هو يقول يتغزل:

دنت كغزال خالص اللون شادن
سقيم الجفون فاتر اللحظات
فخلت فؤادي ذاب بين جوانحي
وكدت أشقّ الصدر بالزفريات
أسلماي إن أعرضت عني بعدها
أصبت صميم القلب بالانظرات
فلا تحسبي أنّ النوى عزت الهوى
ولأن طول الهجررت صلاتي
فطيفك لا ينفك عني ساعة
ملأت عليّ يقظتي وسباتي (١٥)
ومن شعره الحر بعنوان "الجمال المنسي":

نجمة في الأفق كالزئبق ترنو

عبر أعصر

عين من في هذه النجمة تحلو

لست أذكر

نجمة أخرى كمثل القرط في أذن السماء

تتألق

جيد من ، من تحت هذا القرط في رجب الفضاء

يتـرقـرقـرق
 وجيين البدر كالدينار من خلف التلال
 يتـطـطـطـط
 وجهه من في الحلم في ستر الخيال
 يتـقـقـقـق
 إنما الليل جيب حل فينا
 فاتن حلو الشمائل
 في بهاء وجمال قد نسينا
 فهو منبت المخايل (١٦)

ومن أصحاب الدواوين من شعراء العربية في الجامعات الحكومية الأستاذ محمد حسين إقبال، ويمتاز شعر الأستاذ محمد حسين إقبال بثلاث ميزات أولها إنه شعر لا يشوبه شيء من التكلف والتهجس، إنما هو شعر قد جاد به طبع فياض خصب غزير يقدر على التعبير والبيان كما أنه يقدر على الابتكار والإبداع، والميزة الثانية التي يمتاز بها هذا الشعر هو تنوع المعاني والموضوعات من المدح النبوي ومناقب الرجال ومن الوصف إلى تجارب الحياة والنصائح والعظات ومن الحماسة إلى الحكم، وهذا التنوع وهذه الأصالة مما يخلو منه شعر من سبقه من الشعراء في شبه القارة من حيث أنهم لم يتحرروا من التبعية والتقليد إلا قليلاً كما أن أكثرهم لم يخرجوا من موضوع المدح والثناء أو شعر المناسبات.

والميزة الثالثة هي براعة الاستهلال فالشاعر يبدأ قصائده بكلمات جميلة ومعنى بديع يدل على براعة الاستهلال كمثال - يستهل قصيدته في مدح سيدنا الحسين رضي الله عنه بمطلع.

عودت نفسي مدحة السادات
 ويقول في مطلع قصيدته في مدح الإمام أبي حنيفة رحمه الله
 لم أخلق بيتاً لنيل صلات
 إن الحكيم لتارك الأخطاء
 ويبدأ قصيدته في مدح الدكتور محمد حسن بقوله
 وكذا الفقيه بجانب الأهواء
 والنور والظلماء مختلفان
 وكذا الحديد وخالص العقيان
 والعلم نور والجهالة ظلمة
 وبغيره الإنسان كالعميان
 وهكذا في كثير من القصائد تظهر براعة الاستهلال ودلالة على أن للشاعر ملكة راسخة للشعر العربي

ومطالعة عميقة للآداب العربية (١٧).

وننهي الحديث عن هذه المدرسة التجديدية في الشعر العربي في باكستان بذكر شاعر معاصر قد توفي في تسعينات القرن العشرين وله ديوان شعر عربي مطبوع كما أن له مؤلفات قيمة ومقالات عديدة في اللغة والأدب؛ وبما أنه قد عاش في القرن العشرين نراه يتمشى مع مقتضيات هذا العصر ويطرق أبواباً وموضوعات جديدة لم يتطرق إليها شعراء العربية من المدارس الدينية، وإن شعره العربي شعر رصين ويحمل رونق اللفظ وروعة المعنى، وقد يوجد فيه ما يدل على أنه كلام شاعر عربي معاصر قد عاش في القرن العشرين الميلادي، وهو الذي يقول في وصف رجل القرن العشرين وبيان نشاطه في مجال العلم:

يواصل كدحاً ليله بنهاره	دؤوباً لنيل المجد غير كليل
عكوفاً على درس العلوم بفكره	مضيفاً إلى البحث نتاج عقول
بيت الليالي باحثاً متطلعاً	ليدرك سراً غامضاً بدليل
كذلك يقضي صبحه ومساءه	غراماً بكشف العلم جد عقيل
ويعمل جهداً فكره في تفحص	وكل الذي يفريه جد جميل
يظل دؤوباً ساعياً متحققاً	ولا ينتشني إلا بأصل أصيل
يغوص بفكره في العناصر باحث	فما يخرج إلا بعلم جليل
يقرب فكره في التجارب جاهداً	وليس الذي يدعه بضئيل (١٨)

وقال يتغرل وهو في ريعان شبابه سنة ١٩٣٤-١٩٣٥م [الطويل]

ونائمة قبلتها فتنبهت	وقد ساءها مني هيام مؤجج
وظلت صفوحاً ما تكلم ساعة	وحمرة خديها كمنار توهج
وأبدت دلالاً ما سمعت بمثله	مدى العمر من حب يدل ويغنج
وقالت لقد صلت علي بشفرة	مؤللة حمراء تلوى وتعوج
ولولا انتباهي من منامي لقد ذوت	جنيئة خدي التي تبليج
فقلت لها يامنية النفس إنني	لذيع بنار من هواك تأجج
فحاولت تخفيف الجوى بي لعني	بعض رشفات أراح وأتليج
معاذ الإله أن أصيبك بالأذى	وآتي إليك بالذي هو يحرج
فجادت لي الحسنى ولان كلامها	وقد فاح من أرد انها المسك يأرج

هو العيش إلا أنه لمحة مضت كسهمٍ من القوس الصليبية يخرج (١٩)
ومن الموضوعات الجديدة التي تميز بها شعراء المدرسة التجديدية عن شعراء المدرسة التقليدية في باكستان
الوصف والغزل والفخر والحماسة والفلسفة. (٢٠)

الهوامش

- ١- ظهور أحمد أظهر: "الشعر العربي وتطوره ومذاهبه في شبه القارة"، مجلة المجمع العربي الباكستاني، المجلد الأول العدد الثالث، ص ٣٦.
- ٢- مختار محمد حبيب الله: القصائد البنورية، ص ٧٥-٧٩.
- ٣- مختار محمد حبيب الله: المرجع نفسه، ص ١٨٦-١٨٧.
- ٤- أنوار مدينة، المجلد ١، العدد ٩ (ذو الحجة ١٣٩٠هـ/فبراير ١٩٧١م): ص ٢٠-٢٢.
- ٥- مجلة الفاروق، السنة الثانية، العدد الخامس، (رجب-شعبان-رمضان ١٤٠٥هـ/١٩٨٦م): ص ٤٦-٤٧.
- ٦- عبد الله، محمود محمد: اللغة العربية في باكستان دراسة وتاريخاً، ص ٤٥١-٤٥٤ - وفيوض الرحمن الدكتور: معاصرين إقبال، ص ٦٣٧-٦٣٩ - والقصيدة بأكملها موجودة في مجلة الرشيد، العدد الخاص بالمديح النبوي، ص ٣٤٦-٣٥٧.
- ٧- أصغر علي روعي: الديوان، ص ٤٣.
- ٨- لمزيد من التفصيل راجع: همداني، حامد أشرف: "الشعر العربي في باكستان" رسالة الدكتوراه، قسم اللغة العربية، جامعة بنجاب، لاهور باكستان ٢٠٠٧م.
- ٩- مجلة قيادة، المجلد ٢ العدد ٩-١٠ مارس ٢٠٠١.
- ١٠- قلندر، محمد جميل: حلم الفردوس الأبهي، الصفحة الخارجية - ومحسن، عبد الكبير: "الفكرية الشعرية لدى محمد جميل قلندر" مجلة القسم العربي جامعة بنجاب، العدد ٧ (السنة ٢٠٠٠م): ص ١٤١-١٤٨.
- ١١- قلندر، محمد جميل: حلم الفردوس الأبهي، ص ٧-٩.
- ١٢- فقير، محمد أفضل: شآبيب الرحمة، تقديم: د. ظهور أحمد أظهر، ص ١٤-١٦.
- ١٣- فقير، محمد أفضل: شآبيب الرحمة، ص ٣٩-٤٠.
- ١٤- فقير، محمد أفضل: شآبيب الرحمة، ص ٧٣-٧٤.
- ١٥- الأبيات مأخوذة من الشاعر نفسه.
- ١٦- إدريس، أحمد الدكتور: الأدب العربي في شبه القارة حتى نهاية القرن العشرين، ص ١٩.
- ١٧- محمد حسين إقبال: حديث النفس، تقديم الدكتور ظهور أحمد أظهر، ص ٩-١٠.
- ١٨- محمد ناظم الندوي: باقة الأزهار، ص ١٢.
- ١٩- الندوي، محمد ناظم: باقة الأزهار، ص ٤١.
- ٢٠- لمزيد من التفصيل راجع: همداني، حامد أشرف: "الشعر العربي في باكستان" رسالة الدكتوراه، قسم اللغة العربية، جامعة بنجاب، لاهور باكستان ٢٠٠٧م.